

مقدمة التفسير

المؤلف : العلامة عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي النجدي رحمه الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب : تبياناً لكل شيء وهدى .
وأشهد أن لا إله إلا الله الحق المبين .
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الصادق الأمين ؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه
والتابعين ، وسلم تسليماً كثيراً .
أما بعد : فهذه مقدمة في التفسير : تُعين على فهم القرآن العظيم الجدير بأن تُصرف له
الهِمَمَ ، ففيه الهدى والنور ، ومن أخذ به هُدي إلى صراطٍ مُستقيم .
الباب الأول : تنزيل القرآن

أَجْمَعُوا عَلَى أَنْ الْقُرْآنَ :

- ١— كلامُ الله حَقِيقَةٌ .
 - ٢— مُنْزَلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ .
 - ٣— سَمِعَهُ جِبْرِيلُ مِنَ اللَّهِ ، وَسَمِعَهُ مُحَمَّدٌ مِنْ جِبْرِيلَ ، وَسَمِعَهُ الصَّحَابَةُ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
 - ٤— وَهُوَ الَّذِي نَتْلُوهُ بِالسِّنِّينَا ، وَفِيمَا بَيْنَ الدَّفْتَيْنِ ، وَمَا فِي الصَّدُورِ ؛ مَسْمُوعاً وَمَكْتُوباً
وَمَحْفُوظاً .
 - ٥— وَكُلُّ حَرْفٍ مِنْهُ - كَالْبَاءِ وَالتَّاءِ - : كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ ؛ مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ .
 - ٦— وَهُوَ كَلَامُ اللهِ : حُرُوفُهُ وَمَعَانِيهِ ؛ لَيْسَ الْحُرُوفُ دُونَ الْمَعَانِي ، وَلَا الْمَعَانِي دُونَ
الحروفِ .
- وَبَدَّعُوا مَنْ قَالَ :
- ١— إِنَّ الْقُرْآنَ فَاضَ عَلَى نَفْسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْعَقْلِ الْفَعَالِ أَوْ غَيْرِهِ ؛
كَالْفَلَاسِفَةِ وَالصَّابِغَةِ .

- ٢— أَوْ : أَنَّهُ مَخْلُوقٌ فِي جِسْمٍ مِنَ الْأَجْسَامِ ؛ كَالْمُعْتَزَلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ .
- ٣— أَوْ فِي جَبْرِيلَ أَوْ مُحَمَّدٍ أَوْ جِسْمٍ آخَرَ غَيْرِهِمَا ؛ كَالْكُلَابِيَّةِ وَالْأَشْعَرِيَّةِ .
- ٤— أَوْ : أَنَّهُ حُرُوفٌ وَأَصْوَاتٌ قَدِيمَةٌ أَرْزَلِيَّةٌ ؛ كَالْكَلَامِيَّةِ .
- ٥— أَوْ : أَنَّهُ حَادِثٌ قَائِمٌ بِذَاتِ اللَّهِ مُمْتَنِعٌ فِي الْأَزَلِ ؛ كَالْهَاشِمِيَّةِ وَالْكَرَامِيَّةِ .
- وَمَنْ قَالَ :

١— (لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ) فَجَهْمِيٌّ .

٢— أَوْ : (غَيْرُ مَخْلُوقٍ) فَمُبْتَدِعٌ .

الباب الثاني : مَوَاضِعُ نُزُولِ الْقُرْآنِ

- ١— أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ : مِئَةٌ وَأَرْبَعُ عَشْرَةَ سُورَةً .
- ٢— وَالْمَشْهُورُ : سَبْعٌ وَعُشْرُونَ مَدَنِيٌّ ، وَبَاقِيهِ مَكِّيٌّ ؛ وَاسْتُثْنِيَ آيَاتُ .
- ٣— وَمِنْهُ : النَّهَارِيُّ وَاللَّيْلِيُّ ، وَالصَّيْفِيُّ وَالشِّتَائِيُّ .
- ٤— وَأَوَّلُ مَا أُنْزِلَ : ” اِقْرَأْ “ ، ثُمَّ : ” الْمُدَّثِّرُ “ .
- وآخِرُهُ : الْمَائِدَةُ ، وَبَرَاءَةُ ، وَالْفَتْحُ ، وَآيَةُ : الْكَلَالَةِ ، وَالرَّبَا ، وَالذِّينِ .

الباب الثالث : إِنْزَالُ الْقُرْآنِ

- ١— أُنْزِلَ الْقُرْآنَ : جُمْلَةً فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا .
- وَأُنْزِلَ مُنْجَمًا بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ .
- ٢— يُلْقِيهِ جَبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مِثْلِ :
- (أ) صَلَاصَلَةِ الْجَرَسِ ، وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيْهِ .
- (ب) وَيَأْتِيهِ فِي مِثْلِ صُورَةِ الرَّجُلِ يُكَلِّمُهُ .
- ٣— وَتَبَتَ أَنَّهُ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ .
- قِيلَ : الْمَعَانِي الْمُتَّفِقَةُ بِالْأَفَاطِ مُخْتَلِفَةٌ ، كـ(هَلُمَّ) وَ(أَقْبِلْ) .
- ٤— وَكُتِبَ فِي الرِّقَاعِ وَاللِّخَافِ وَالْعُسْبِ وَالْأَضْلَاحِ فِي عَهْدِ النَّبَوَّةِ .
- ثُمَّ : فِي الصُّحُفِ فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ .
- ثُمَّ : جُمَعَ عُثْمَانُ النَّاسَ عَلَى مُصْحَفٍ وَاحِدٍ . وَالْجُمْهُورُ : أَنَّهُ مُشْتَمِلٌ عَلَى مَا يَحْتَمِلُهُ رَسْمُهَا ، وَمُتَضَمِّنٌ لَهَا الْعَرْضَةُ الْآخِرَةُ .

٦- وترتيبُ :

الآياتِ بالنَّصِّ ، والسُّورِ بالاجتهادِ .

البابُ الرَّابِعُ : أسبابُ نُزولِ القرآنِ

مَعْرِفَةُ سَبَبِ نُزولِ القرآنِ يُعِينُ عَلَى فَهْمِ الآيَةِ ؛ فَقَدْ يَكُونُ اللَّفْظُ عَامًّا وَالسَّبَبُ خَاصًّا .
وَمِنْهُ : قَوْلُهُ تَعَالَى ” وَاللَّائِي يَتَسَنَّ مِنْ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعَدَّتْهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ “ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ” فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ “ .

البابُ الْخَامِسُ : عامُّ القرآنِ وخاصُّه

١- العامُّ أَقْسَامُ :

- (أ) مِنْهُ : الْبَاقِي عَلَى عُمُومِهِ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ” حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ “ .
- (ب) وَالْعَامُّ الْمُرَادُ بِهِ الْخُصُوصُ ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ” الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ “ .
- (ج) وَالْعَامُّ الْمَخْصُوصُ - وَهُوَ كَثِيرٌ ؛ إِذْ مَا مِنْ عَامٍّ إِلَّا وَقَدْ خُصَّ - .

٢- وَالْمُخَصَّصُ :

(أ) إِمَّا مُتَّصِلٌ ، وَهُوَ خَمْسَةٌ : الْاِسْتِثْنَاءُ ، وَالْوَصْفُ ، وَالشَّرْطُ ، وَالْغَايَةُ ، وَبَدَلُ الْبَعْضِ مِنْ الْكُلِّ .

(ب) وَإِمَّا مُنْفَصِلٌ : كَأَيَّةٍ أُخْرَى ، أَوْ : حَدِيثٍ ، أَوْ : إِجْمَاعٍ .

٣- وَمِنْ خَاصِّ القرآنِ مَا كَانَ مُخَصَّصًا لِعُمُومِ السُّنَّةِ ؛ كَقَوْلِهِ : ” حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ “ خَصَّ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) » .

البابُ السَّادِسُ : ناسخُ القرآنِ وَمَنْسُوخُهُ

١- يَرِدُ النَّسْخُ :

بِمَعْنَى (الْإِزَالَةِ) : وَمِنْهُ ” فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ “ .
وَبِمَعْنَى (التَّبْدِيلِ) : وَمِنْهُ ” وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ “ .

٢- وَهُوَ ثَلَاثَةٌ :

(أ) مَا نُسِخَ تِلَاوَتُهُ وَحُكْمُهُ ؛ كَعَشْرِ رَضَعَاتٍ .

(ب) ما نُسخَ تِلَاوَتُهُ دُونَ حُكْمِهِ ؛ كَأَيَّةِ الرَّجْمِ .

(ج) ما نُسخَ حُكْمُهُ دُونَ تِلَاوَتِهِ ؛ وَقَدْ صُنِّفَتْ فِيهِ الْكُتُبُ - وَهُوَ قَلِيلٌ - .

٣- وَلَا يَقَعُ إِلَّا فِي: الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ؛ وَلَوْ بَلَفَظِ الْخَبَرِ .

البابُ السَّابِعُ : مُحْكَمُ الْقُرْآنِ وَمُتَشَابِهُهُ

١- الْمُحْكَمُ : مَا يُمَيِّزُ الْحَقِيقَةَ الْمَقْصُودَةَ عَنْ غَيْرِهَا .

وَالْمُتَشَابَهُ: يُشَبِّهُ هَذَا وَيُشَبِّهُ هَذَا .

٢-: ”فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ“ :

(أ) ” ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ “ لِيَفْتِنُوا النَّاسَ ؛ إِذْ وَضَعُوهُ عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهِ .

(ب) ” وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ “ وَهُوَ الْحَقِيقَةُ الَّتِي أَخْبَرَ عَنْهَا ؛ كَالْقِيَامَةِ وَأَشْرَاطِهَا .

” وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ “ أَيِ تَأْوِيلِ تِلْكَ الْحَقَائِقِ مِنْ وَقْتِ وَصْفَةِ ” إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي

الْعِلْمِ يَقُولُونَ : آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا “ وَلَمْ يَنْفِ عَنْهُمْ عِلْمَ مَعْنَاهُ ، بَلْ قَالَ : ”

لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ “ .

٣- قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ : (وَثَبَتْ أَنَّ اتِّبَاعَ الْمُتَشَابِهِ لَيْسَ فِي خُصُوصِ الصِّفَاتِ ، وَلَا أَعْلَمُ

أَنَّ أَحَدًا مِنَ السَّلَفِ جَعَلَهَا مِنَ الْمُتَشَابِهِ الدَّاخِلِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ) .

• وَعِنْدَهُمْ : قِرَاءَتُهَا تَفْسِيرُهَا ، وَثَمَرُ كَمَا جَاءَتْ ؛ دَالَّةٌ عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الْمَعَانِي ؛ لَا

تُحَرِّفُ وَلَا يُلْحَدُ فِيهَا .

٤- وَكُلُّ ظَاهِرٍ : تُرِكَ لِمُعَارِضِ رَاجِحٍ ؛ كَتَخْصِيصِ الْعَامِّ ، وَتَقْيِيدِ الْمُطْلَقِ ؛ فَإِنَّهُ مُتَشَابَهُ

لِاحْتِمَالِهِ مَعْنَيْنِ .

وَكَذَا الْمُجْمَلُ ؛ وَإِحْكَامُهُ : رَفَعُ مَا يُتَوَهَّمُ فِيهِ مِنَ الْمَعْنَى الَّذِي لَيْسَ بِمَرَادٍ .

البابُ الثَّامِنُ : التَّأْوِيلُ

—١—

• التَّأْوِيلُ فِي الْقُرْآنِ : نَفْسُ وَقُوعِ الْمُخْبَرِ بِهِ .

• وَعِنْدَ السَّلَفِ : تَفْسِيرُ الْكَلَامِ وَبَيَانُ مَعْنَاهُ .

—٢—

• وَعِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ - مِنَ الْمُتَكَلِّمَةِ وَالْمُتَفَقِّهَةِ وَنَحْوِهِمْ - : هُوَ صَرَفُ اللَّفْظِ عَنِ الْمَعْنَى

الرَّاجِحُ إِلَى الْمَعْنَى الْمَرْجُوحِ ؛ لِذَلِكَ يَقْتَرِنُ بِهِ .
أَوْ : حَمْلُ ظَاهِرٍ عَلَى مُحْتَمَلٍ مَرْجُوحٍ .
• وما تأوله :

الْقَرَامِطَةُ وَالْبَاطِنِيَّةُ : لِلْأَخْبَارِ وَالْأَوَامِرِ ...
وَالْفَلَاسِفَةُ : لِلْأَخْبَارِ عَنِ اللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ...
وَالْجَهْمِيَّةُ وَالْمُعْتَزَلَةُ وَغَيْرُهُمْ : فِي بَعْضِ مَا جَاءَ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَفِي آيَاتِ الْقَدَرِ ، وَآيَاتِ الصِّفَاتِ هُوَ مِنْ تَحْرِيفِ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ .
٣ — قَالَ الشَّيْخُ : « وَطَوَائِفُ مِنَ السَّلَفِ أَخْطَؤُوا فِي مَعْنَى (التَّأْوِيلِ) الْمَنْفِيِّ ؛ وَفِي مَعْنَى (التَّأْوِيلِ) الَّذِي أَثْبَتُوهُ .

وَالْتَّأْوِيلُ الْمَرْدُودُ : هُوَ صَرَفُ الْكَلِمِ عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَى مَا يُخَالِفُ ظَاهِرَهُ .
وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ : (ظَاهِرٌ هَذَا غَيْرُ مُرَادٍ) . وَلَا قَالَ : (هَذِهِ الْآيَةُ أَوْ هَذَا الْحَدِيثُ مَصْرُوفٌ عَنْ ظَاهِرِهِ) . مَعَ أَنَّهُمْ قَدْ قَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ فِي آيَاتِ الْأَحْكَامِ الْمَصْرُوفَةِ عَنْ عُمُومِهَا وَظَوَاهِرِهَا ، وَتَكَلَّمُوا فِيهَا يُسْتَشْكَلُ مِمَّا قَدْ يُتَوَهَّمُ أَنَّهُ مُتَنَاقِضٌ » .

البَابُ التَّاسِعُ : نَفْيُ الْمَجَازِ

١ — صَرَّحَ بِنَفْيِهِ الْمُحَقِّقُونَ ؛ وَلَمْ يُحْفَظْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْقَوْلُ بِهِ .
وَإِنَّمَا حَدَّثَ تَقْسِيمُ الْكَلَامِ إِلَى حَقِيقَةٍ وَمَجَازٍ بَعْدَ الْقُرُونِ الْمُفَضَّلَةِ .
فَتَذَرَّعَ بِهِ الْمُعْتَزَلَةُ وَالْجَهْمِيَّةُ إِلَى : الْإِلْحَادِ فِي الصِّفَاتِ .
٢ — قَالَ الشَّيْخُ : « وَلَمْ يَتَكَلَّمِ الرَّبُّ بِهِ ، وَلَا رَسُولُهُ ، وَلَا أَصْحَابُهُ ، وَلَا التَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ .

وَمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ مِنْ أَهْلِ اللَّغَةِ يَقُولُ فِي بَعْضِ الْآيَاتِ : (هَذَا مِنْ مَجَازِ اللَّغَةِ) وَمُرَادُهُ : أَنَّ هَذَا مِمَّا يَجُوزُ فِي اللَّغَةِ ، وَلَمْ يُرَدِّ هَذَا التَّقْسِيمُ الْحَادِثِ ؛ لَا سِيَّمَا وَقَدْ قَالُوا : (إِنَّ الْمَجَازَ يَصِحُّ نَفْيُهُ) ! فَكَيْفَ يَصِحُّ حَمْلُ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ .
وَلَا يَهْوِلَنَّكَ إِطْبَاقُ الْمُتَأَخِّرِينَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُمْ أَطَبَقُوا عَلَى مَا هُوَ شَرُّ مِنْهُ » .
٣ — وَذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ خَمْسِينَ وَجْهًا فِي بُطْلَانِ الْقَوْلِ بِالْمَجَازِ .
وَكَلَامُ اللَّهِ وَكَلَامُ رَسُولِهِ مُنَزَّهٌ عَنْ ذَلِكَ .

البابُ العاشرُ : إعجازُ القرآنِ

١— المُعْجِزَةُ : أمرٌ خارقٌ للعادةِ ، مقرونٌ بالتَّحْدِي ، سَالِمٌ عَنِ الْمُعَارَضَةِ .

٢— والقرآنُ مُعْجِزٌ أَبَدًا :

أَعْجَزَ الْفُصَحَاءَ مَعَ حِرْصِهِمْ عَلَى مُعَارَضَتِهِ .

وَقَدْ تَحَدَّاهُمْ تَعَالَى عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ ، أَوْ عَشْرِ سُورٍ ، أَوْ سُورَةٍ .

٣— وَذَكَرَ الْعُلَمَاءُ وَجُوهًا مِنْ إِعْجَازِهِ :

مِنْهَا : أُسْلُوبُهُ ، وَبَلَاغَتُهُ ، وَبَيَانُهُ ، وَفَصَاحَتُهُ ، وَحُسْنُ تَأْلِيْفِهِ ، وَإِخْبَارُهُ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ ، وَالرَّوْعَةُ فِي قُلُوبِ سَامِعِيهِ ... وَغَيْرُ ذَلِكَ .

حَتَّى قَالَ الْوَلِيدُ : (إِنَّ لَهُ لِحَلَاوَةً ، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً ...) .

وَمَنْ تَأَمَّلَ حُسْنَهُ وَبَدِيعَهُ وَبَيَانَهُ وَوُجُوهَ مُحَاطَبَاتِهِ : عَلِمَ أَنََّّهُ مُعْجِزٌ مِنْ وَجُوهٍ كَثِيرَةٍ .

البابُ الحادي عَشَرَ : أمثالُ القرآنِ

١— أمثالُ القرآنِ : مِنْ أَعْظَمِ عِلْمِهِ . عَدَّةُ الشَّافِعِيِّ مِمَّا يَجِبُ عَلَى الْمُجْتَهِدِ مَعْرِفَتِهِ .

٢— ضَرَبَهَا اللَّهُ : تَذَكِيرًا وَوَعْظًا .

٣— وَهِيَ : تُصَوِّرُ الْمَعَانِي بِصُورَةِ الْأَشْخَاصِ .

البابُ الثاني عَشَرَ : إقسامُ القرآنِ

الْقَسَمُ تَحْقِيقٌ لِلْخَبَرِ وَتَوْكِيدٌ لَهُ ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا بِمُعْظَمٍ ؛ وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى . وَهُوَ تَعَالَى يُقْسَمُ :

١ : بِنَفْسِهِ الْمُقَدَّسَةِ الْمَوْصُوفَةِ بِصِفَاتِهِ .

٢ : وَبِآيَاتِهِ الْمُسْتَلْزِمَةِ لِذَاتِهِ .

٣ : وَصِفَاتِهِ .

تَارَةً عَلَى : التَّوْحِيدِ .

وَتَارَةً عَلَى : أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ .

وَتَارَةً عَلَى : أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ .

وَتَارَةً عَلَى : الْجَزَاءِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعْدِ .

وَتَارَةً عَلَى : حَالِ الْإِنْسَانِ .

وَالْقَسَمُ :

(أ) إِمَّا ظَاهِرٌ .

(ب) وَإِمَّا مُضْمَرٌ ؛ وَهُوَ قِسْمَانِ :

١ : قِسْمٌ دَلَّتْ عَلَيْهِ اللَّامُ ؛ نَحْوُ : ” لَتَبْلُوَنَّ “ .

٢ : وَقِسْمٌ دَلَّ عَلَيْهِ الْمَعْنَى ؛ نَحْوُ : ” وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا “ .

البَابُ الثَّالِثُ عَشَرَ : الْخَبَرُ وَالْإِنْشَاءُ

• الْكَلَامُ نَوْعَانِ : خَبَرٌ ، وَإِنْشَاءٌ .

-١-

• وَالْخَبَرُ : دَائِرَةٌ بَيْنَ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ .

وَالْإِنْشَاءُ : أَمْرٌ أَوْ نَهْيٌ أَوْ إِبَاحَةٌ .

• الْخَبَرُ : يَدْخُلُهُ التَّصْدِيقُ وَالتَّكْذِيبُ .

وَالْإِنْشَاءُ : لَا .

وَالْإِخْبَارُ : إِمَّا إِخْبَارٌ عَنِ الْخَالِقِ ، وَإِمَّا إِخْبَارٌ عَنِ الْمَخْلُوقِ .

١ : فَالْإِخْبَارُ عَنِ الْخَالِقِ : هُوَ التَّوْحِيدُ ؛ وَمَا يَتَضَمَّنُهُ مِنْ : أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ .

٢ : وَالْإِخْبَارُ عَنِ الْمَخْلُوقِ : هُوَ الْقَصَصُ ؛ وَهُوَ : الْخَبَرُ عَمَّا كَانَ وَمَا يَكُونُ . وَيَدْخُلُ

فِيهِ :

(أ) الْخَبَرُ عَنِ الرُّسُلِ وَأُمَمِهِمْ وَمَنْ كَذَّبَهُمْ .

(ب) وَالْإِخْبَارُ عَنِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ .

البَابُ الرَّابِعُ عَشَرَ : طُرُقُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

١ — أَصَحُّ طُرُقِ التَّفْسِيرِ : أَنْ يُفَسَّرَ :

١ : الْقُرْآنُ بِالْقُرْآنِ :

فَمَا أُجْمِلَ فِي مَكَانٍ فَإِنَّهُ قَدْ فُسِّرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ .

وَمَا أُخْتَصِرَ فِي مَكَانٍ فَقَدْ بُسِطَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ .

٢ : فَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ فِي الْقُرْآنِ فَبِالسُّنَّةِ :

فَإِنَّهَا شَارِحَةٌ لِلْقُرْآنِ وَمَوْضِحَةٌ لَهُ .

٣ : فَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ ؛ فَارْجِعْ إِلَى أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ؛ فَإِنَّهُمْ أَدْرَى بِذَلِكَ ؛ لِمَا شَاهَدُوهُ ، وَلِمَا لَهُمْ مِنَ الْفَهْمِ التَّامِّ وَالْعِلْمِ الصَّحِيحِ ؛ لَا سِيَّمَا كُبْرَاؤُهُمْ ؛ كـ (الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَالْأَثَمَةَ الْمَهْدِيَيْنَ ؛ كَابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ) .

٤ : وَإِذَا لَمْ تَجِدْهُ فَقَدْ رَجَعَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَثَمَةِ فِي ذَلِكَ إِلَى أَقْوَالِ التَّابِعِينَ : كَمُجَاهِدٍ ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، وَعِكْرِمَةَ ، وَعَطَاءٍ ، وَالْحَسَنِ ، وَمَسْرُوقٍ ، وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ . وَكَمَالِكٍ ، وَالثَّوْرِيِّ ، وَالْأَوْزَاعِيِّ ، وَالْحَمَّادِينَ ، وَأَبِي حَنِيفَةَ ... وَغَيْرِهِمْ مِنْ تَابِعِي التَّابِعِينَ .

وَكَالشَّافِعِيِّ ، وَأَحْمَدَ ، وَإِسْحَاقَ ، وَأَبِي عُبَيْدٍ ... وَأَمْثَالِهِمْ مِنْ أَتْبَاعِ تَابِعِي التَّابِعِينَ .
٢ — قَالَ الشَّيْخُ : « وَقَدْ يَقَعُ فِي عِبَارَاتِهِمْ تَبَايُنٌ فِي الْأَلْفَاظِ ، يَحْسِبُهَا مَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ اخْتِلَافًا ؛ وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، فَإِنْ مِنْهُمْ :

١ : مَنْ يُعْبَرُ عَنِ الشَّيْءِ بِإِلَازِمِهِ ، أَوْ : نَظِيرِهِ .

٢ : وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْصُصُ عَلَى الشَّيْءِ بِعَيْنِهِ .

وَيُرْجَعُ إِلَى :

١ : لُغَةِ الْقُرْآنِ .

٢ : أَوْ السَّنَةِ .

٣ : أَوْ لُغَةِ الْعَرَبِ .

وَمَنْ تَكَلَّمَ بِمَا يَعْلَمُ مِنْ ذَلِكَ لُغَةً وَشَرَعًا : فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ . وَيَحْرُمُ : بِمَجَرَّدِ الرَّأْيِ « .
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : (التَّفْسِيرُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ :

١ : وَجْهٌ تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ مِنْ كَلَامِهَا .

٢ : وَتَفْسِيرٌ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ .

٣ : وَتَفْسِيرٌ يَعْلَمُهُ الْعُلَمَاءُ .

٤ : وَتَفْسِيرٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ) .

البَابُ الْخَامِسُ عَشَرَ : التَّفَاسِيرُ

١ — أَحْسَنُ التَّفَاسِيرِ ؛ مِثْلُ :

١ : تَفْسِيرُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ ، وَوَكَيْعٍ ، وَعَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ ، وَدُحَيْمٍ .

٢ : وَتَفْسِيرُ أَحْمَدَ ، وَإِسْحَاقَ ، وَبَقِيٍّ بْنِ مَخْلَدٍ ، وَابْنِ الْمُنْذِرِ ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ ،
وَسُنَيْدٍ .

٣ : وَتَفْسِيرُ ابْنِ جَرِيرٍ ، وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ ، وَأَبِي سَعِيدٍ الْأَشْجِ ، وَابْنِ مَاجَةَ ، وَابْنِ مَرْدَوَيْهِ ،
وَالْبَغَوِيِّ ، وَابْنِ كَثِيرٍ .

—٢—

• وَحَدَّثَ طَوَائِفُ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ : تَأَوَّلُوا كَلَامَ اللَّهِ عَلَى آرَائِهِمْ :
فِتَارَةً : يَسْتَدِلُّونَ بِآيَاتِ اللَّهِ عَلَى مَذْهَبِهِمْ .

وَتَارَةً : يَتَأَوَّلُونَ مَا يُخَالِفُ مَذْهَبَهُمْ ؛ كَالْخَوَارِجِ وَالرَّافِضَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزَلَةَ وَالْمُرْجِيَّةَ
... وَغَيْرِهِمْ . قَالَ الشَّيْخُ : « وَأَعْظَمُهُمْ جَدَلًا : الْمُعْتَزَلَةُ » هـ .

• وَقَدْ صَنَّفُوا تَفَاسِيرَ عَلَى أُصُولِ مَذْهَبِهِمْ ؛ مِثْلَ : تَفْسِيرِ ابْنِ كَيْسَانَ الْأَصَمِّ ، وَالْجُبَّائِيِّ ،
وَعَبْدِ الْجُبَّارِ الْهَمْدَانِيِّ ، وَالرُّمَّانِيِّ ، وَالزَّمْخَشَرِيِّ .

وَوَافَقَهُمْ مُتَاَخَّرُوا الشَّيْعَةِ : كَالْمَفِيدِ ، وَأَبِي جَعْفَرِ الطُّوسِيِّ . اعْتَقَدُوا رَأْيًا ثُمَّ حَمَلُوا الْقُرْآنَ
عَلَيْهِ .

وَمِنْهُمْ حَسَنُ الْعِبَارَةِ يَدُسُّ الْبِدْعَ فِي كَلَامِهِ ؛ كَصَاحِبِ الْكَشَافِ ، حَتَّى إِنَّهُ يَرُوجُ عَلَى
خَلْقٍ كَثِيرٍ .

وَذَكَرَ : أَنَّ تَفْسِيرَ ابْنِ عَطِيَّةٍ وَأَمثَالِهِ - وَإِنْ كَانَ أَسْلَمَ مِنْ تَفْسِيرِ الزَّمْخَشَرِيِّ - لَكِنَّهُ يَذْكُرُ
مَا يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنْ قَوْلِ الْمُحَقِّقِينَ ، وَإِنَّمَا يَعْنِي : طَائِفَةً مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ الَّذِينَ قَرَرُوا أُصُولَهُمْ
بِطَرُقٍ مِنْ جِنْسٍ مَا قَرَّرَتْ بِهِ الْمُعْتَزَلَةُ .

—٣—

١ : وَذَكَرَ : الَّذِينَ أَخْطَؤُوا فِي الدَّلِيلِ ؛ مِثْلَ كَثِيرٍ مِنَ الصَّوْفِيَّةِ وَالْوُعَاظِ وَالْفُقَهَاءِ وَغَيْرِهِمْ ؛
يُفَسِّرُونَ الْقُرْآنَ بِمَعَانٍ صَحِيحَةٍ وَلَكِنَّ الْقُرْآنَ لَا يَدُلُّ عَلَيْهَا . مِثْلَ كَثِيرٍ مِمَّا ذَكَرَهُ أَبُو عَبْدِ
الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ فِي (حَقَائِقِ التَّفْسِيرِ) .

٢ : وَإِنْ كَانَ فِيهِمَا ذِكْرُهُ مَا هُوَ مَعَانٍ بَاطِلَةٌ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْخُلُ فِي الْخَطِإِ فِي الدَّلِيلِ
وَالْمَدْلُولِ جَمِيعًا ، حَيْثُ يَكُونُ الْمَعْنَى الَّذِي قَصَدُوهُ فَاسِدًا .

• وَبِالْجُمْلَةِ : مَنْ عَدَلَ عَنْ مَذَاهِبِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَفْسِيرِهِمْ إِلَى مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ كَانَ

مُخْطِئًا فِي ذَلِكَ ، بَلْ مُبْتَدِعًا - وَإِنْ كَانَ مُجْتَهِدًا مَغْفُورًا لَهُ خَطَاؤُهُ - .
فَالْمَقْصُودُ : بَيَانُ طُرُقِ الْعِلْمِ وَأَدِلَّتِهِ وَطُرُقِ الصَّوَابِ .

البَابُ السَّادِسُ عَشَرُ : سَبَبُ الْاِخْتِلَافِ

مِنْهُ : مَا مُسْتَنَدُهُ :

١ - التَّنْقُلُ .

٢ - أَوِ الْاِسْتِدْلَالُ .

١ : وَالْمَنْقُولُ : إِمَّا عَنِ الْمَعْصُومِ أَوْ لَا .

فَالْمَقْصُودُ : وَإِذَا جَاءَ عَنْهُ مِنْ جِهَتَيْنِ أَوْ جِهَاتٍ - مِنْ غَيْرِ تَوَاطُءٍ - فَصَحِيحٌ .
وَكَذَا الْمَرَاسِيلُ إِذَا تَعَدَّدَتْ طُرُقُهَا .

وَخَبَرُ الْوَاحِدِ إِذَا تَلَقَّيْتُهُ الْأُمَّةُ بِالْقَبُولِ أَوْ جَبَّ الْعِلْمُ .

وَالْمُعْتَبَرُ فِي قَبُولِ الْخَبَرِ : إِجْمَاعُ أَهْلِ الْحَدِيثِ ، وَلَهُ أَدِلَّةٌ يُعْرَفُ بِهَا أَنَّهُ صِدْقٌ ، وَعَلَيْهِ أَدِلَّةٌ يُعْرَفُ بِهَا أَنَّهُ كَذِبٌ ، كَمَا فِي تَفْسِيرِ : الثَّعْلِيِّ ، وَالْوَاحِدِيِّ ، وَالزَّمْخَشَرِيِّ . وَهُوَ قَلِيلٌ فِي تَفْسِيرِ السَّلَفِ .

٢ : وَمَا نُقِلَ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ نَقْلًا صَحِيحًا : فَالْنَفْسُ إِلَيْهِ أَسْكَنُ مِمَّا نُقِلَ عَنْ بَعْضِ التَّابِعِينَ .

٣ : وَالْإِسْرَائِيلِيَّاتُ : تُذَكَّرُ لِلْإِسْتِشْهَادِ لَا لِلْاعْتِمَادِ :

١ : وَمَا عُلِمَتْ صِحَّتُهُ مِمَّا شَهِدَ لَهُ الشَّرْعُ : فَصَحِيحٌ .

٢ : وَمَا خَالَفَهُ : فَيُعْتَقَدُ كَذِبُهُ .

٣ : وَمَا لَمْ يُعْلَمْ حُكْمُهُ فِي شَرْعِنَا : لَا يُصَدَّقُ وَلَا يُكْذَّبُ ، وَغَالِبُهُ لَا فَائِدَةَ فِيهِ .

وَالْخَطَأُ الْوَاقِعُ فِي الْاِسْتِدْلَالِ مِنْ جِهَتَيْنِ :

١ : حَدَّثَنَا عِمَّنْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ بَعْدَ تَفْسِيرِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ -
اعْتَقَدُوا مَعَانِي ، حَمَلُوا أَلْفَاظَ الْقُرْآنِ عَلَيْهَا .

٢ : أَوْ فَسَّرُوهُ بِمُجَرَّدِ مَا يَسُوعُ أَنْ يُرِيدُوهُ مِمَّا لَا يَدُلُّ عَلَى الْمُرَادِ مِنَ كَلَامِ اللَّهِ بِحَالٍ .
وَتَبِعَهُمْ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَفَقِّهَةِ ؛ لِضَعْفِ آثَارِ الثُّبُوتِ وَالْعَجْزِ وَالتَّفْرِيطِ حَتَّى كَانُوا يَرَوُونَ مَا لَا يَعْلَمُونَ صِحَّتَهُ .

٣ : وقد يكون الاختلافُ : لِخَفَاءِ الدَّلِيلِ والذَّهْوِلِ عَنْهُ .

٤ : وَقَدْ يَكُونُ : لِعَدَمِ سَمَاعِهِ .

٥ : وَقَدْ يَكُونُ : لِلغَلَطِ فِي فَهْمِ النَّصِّ .

٦ : وَقَدْ يَكُونُ : لاعتقادِ مُعارضٍ راجحٍ .

البابُ السَّابِعُ عَشَرَ : تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ

التَّفْسِيرُ : كَشَفُ مَعَانِي الْقُرْآنِ وَبَيَانُ الْمُرَادِ مِنْهُ .

قِيلَ : (بَعْضُهُ) يَكُونُ مِنْ قَبْلِ الْأَلْفَاظِ الْوَجِيزَةِ وَكَشَفِ مَعَانِيهَا . وَ(بَعْضُهُ) مِنْ قَبْلِ تَرْجِيحِ بَعْضِ الاحْتِمَالَاتِ عَلَى بَعْضٍ .

وَأَجْمَعُوا : عَلَى أَنَّ التَّفْسِيرَ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَاتِ .

وَهُوَ أَجَلُ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَأَشْرَفُ صِنَاعَةٍ يَتَعَاظَاهَا الْإِنْسَانُ .

• وَالْمُعْتَنِي بِغَرِيْبِهِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ :

١ : مَعْرِفَةِ الْحُرُوفِ : وَأَكْثَرُ مَنْ تَكَلَّمَ فِيهَا التُّحَاةُ .

٢ : وَالْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ : وَأَكْثَرُ مَنْ تَكَلَّمَ فِيهَا اللَّغَوِيُّونَ .

٣ : وَمِنْهُ : مَعْرِفَةُ مَا وُضِعَ لَهُ الضَّمِيرُ ، وَمَا يَعُودُ عَلَيْهِ .

٤ : وَالتَّذْكِيرِ وَالتَّنْثِيثِ .

٥ : وَالتَّعْرِيفِ وَالتَّنْكِيرِ .

٦ : وَالْخِطَابِ بِالْأَسْمِ وَالْفِعْلِ .

• وَأَوَّلَى مَا يُرْجَعُ فِي غَرِيْبِهِ إِلَى :

١ : تَفْسِيرِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ .

٢ : وَدَوَاوِينَ الْعَرَبِ .

• وَيُبْحَثُ عَنْ كَوْنِ الْآيَةِ :

١ : مُكَمَّلَةً لِمَا قَبْلَهَا ، أَوْ مُسْتَقْلَةً .

٢ : وَمَا وَجَهَ مُنَاسَبَتَهَا لِمَا قَبْلَهَا .

وَعَنِ الْقِرَاءَةِ (الْمُتَوَاتِرَةِ الْمَشْهُورَةِ) وَ(الْآحَادِ) وَكَذَا الشَّاذَّةُ ؛ فَإِنَّهَا تُفَسَّرُ الْمَشْهُورَةُ وَتُبَيَّنُ

مَعَانِيهَا ؛ وَإِنْ كَانَ لَا تَجُوزُ الْقِرَاءَةُ بِالشَّاذَّةِ إِجْمَاعًا .

البابُ الثامنُ عشرُ : تلاوةُ القرآنِ

- تُسْتَحَبُّ : تلاوةُ القرآنِ على أكملِ وجهٍ على أكملِ الأحوالِ ، والإكثارُ منها ، وهو أفضلُ من سائرِ الذكرِ .
والترتيلُ : أفضلُ من السرعةِ مع تبيينِ الحروفِ وأشدُّ تأثيراً في القلبِ .
وينبغي إعطاءَ الحروفِ حَقَّها وترتيبُها وتلطيفُ النطقِ بها من غيرِ إسرافٍ ولا تعسُّفٍ ولا تكلفٍ .
 - ويُسنُّ : تحسينُ الصَّوتِ ، والترنُّمُ بخشوعٍ وحُضورِ قلبٍ وتفكيرٍ وتفهُمٍ يُنفِذُ اللفظَ إلى الأسماعِ والمعاني إلى القلوبِ .
قال الشيخُ في « زَيْنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ » هو : التَّحْسِينُ والترنُّمُ بخشوعٍ وحُضورِ قلبٍ لا صرفُ الهِمَّةِ إلى ما حُجِبَ به أكثرُ النَّاسِ من : الوسوسةِ في خروجِ الحروفِ وترقيقها وتفخيمها وإمالتها والنطقِ بالمدِّ الطَّويلِ والقَصِيرِ والمتوسِّطِ وشغله بالوصلِ والفصلِ والإضجاعِ والإرجاعِ والتَّطْرِيبِ ... وغيرِ ذلكَ مما هو مُفَضِّلٌ إلى : تغييرِ كتابِ اللهِ والتَّلاعُبِ به والتَّنَطُّعِ عن فَهْمِ مُرَادِ الرَّبِّ من كلامِهِ .
ومن تأمَّلَ هدي رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإقرارَهُ أهلُ كُلِّ لِسَانٍ على قِرَاءَتِهِمْ : تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ التَّنَطُّعَ بالوسوسةِ في إخراجِ الحروفِ ليسَ من سُنَّتِهِ .
 - وقال : يُكْرَهُ التَّلْحِينُ الذي يُشَبِّهُ الغِنَاءَ .
 - واستحبَّ : بَعْضُهُمُ الْقِرَاءَةَ فِي الْمُصْحَفِ .
وَيُسْتَحَبُّ الْخَتْمُ كُلُّ أُسْبُوعٍ ، والدَّعَاءُ بَعْدَهُ ، وَتَحْسِينُ كِتَابَةِ الْمُصْحَفِ ، وَلَا يُخَالَفُ خَطُّ مُصْحَفِ عُثْمَانَ فِي وَاوٍ أَوْ ياءٍ أَوْ أَلِفٍ أَوْ غيرِ ذَلِكَ .
 - وَيَحْرُمُ عَلَى الْمُحَدِّثِ :
١ : مَسُّهُ .
٢ وسَفَرُهُ بِهِ لِدارِ حَرْبٍ .
 - وَيَجِبُ : احْتِرَامُهُ .
- وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ